الفصل الرابع

ليلة الزفاف

- **ليلة الزفاف :**
  - من الآداب المرعية في هذه المناسبة السارة .
- **وصايا للعروس :**
  - وصية أب لابنته .
  - وصايا لأم .
  - وصية أخ .
- **آداب قضاء الوطر :**
  - المداعبة .
- **أمثلة من ليالي الزفاف :**
  - في بيت عبد الله بن وداعة .
  - في بيت شريح القاضي الفقيه .
  - ما ينبغي تجنبه .

ليلة الزفاف

هى ليلة العمر كما يسميها الشباب . والواقع أنها ليلة مجيدة فى حياة الأسسرة ينبغى أن تُذكر كل عـــام لتراجع إنجازات الأسرة من الأحلام التى كانت تُناط بالـزواج وتُؤجل إلى الليلة الأولى من الالتحـام الأخوى ، كما ينبغى أن يكون لها تمهيدات وتُحاط بآداب .

أمـــا التمهيدات لهـا فطويلة . تبدأ من اختيار كل من العروسين رفيقه على قـاعدة مـــن التكافؤ والتدين ، والتـوافق الطبعى ، فيرى كُلٌ شريكَ حياته رؤية تُقنعه نفسياً وعاطفياً ، فى غير تبذل من الفتاة ولا خروج عن آداب الشرع .

روى أحمد وأبو داوود والحاكم عن جابر بن عبد الله عن رسول اللهُ ﷺ قال : « إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر منها ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل » . وللرجل أن يُرسل من النساء العاقلات من تستكمل دراسة ما يطلبه فى زوجته مما لا يَطَّلع عليه الرجال . أخرج أحمد والطبرانى والحاكم والبيهقى عن أنس أن رسول الله ﷺ بعث أم سليم إلى امرأة فقال : « انظرى إلى عرقوبها وشمى معاطفها » وهى ناحيتا العنق . وفى رواية : « شمى عوارضها » . وهى الأسنان التى تكون فى عرض الفم ، وهى ما بين الثنايا والأضراس .

فإذا ارتضى كل من العروسين رفيقه كانت الخطبة الرسمية .. ومن آدابها خطبة يُذكر فيها مآثر كل من الزوجين وأهليهما ، بعد اتفاق على المهر ، وبعد تَعَرُّف كل من العروسين - بطريق مباشر وغير مباشر - على طبيعة عمل الزوج وعاداته ومستواه العلمى والمالى والطبقى ، فى المجتمعات التى لا تزال تعبأ بالطبقية ، فإذا كان الزوج متعلماً ومتديناً كان كفئاً لكل زوجة من أى مستوى طبقى تكون . لأنه لا أشرف من نسب العلم والدين .

لا يُقال : يجب الاختلاط الطويل وإتاحة الفرصة للخطيبين كى يتعرفا منفردين

على بعضهما تعرفاً على أوسع نطاق . فهذه مغالطة .. إذ انفرادهما يجعل الشيطان ينفخ فيهما النزوات ويهيج الحب الجنسى .. والحب يعمى ويصم ، فلا يكون معه تَعَرُّفٌ على شئ .

وإذا تمت الخطبة .. وجاءت ليلة انتقال العروس إلى بيت زوجها ، فإن الإسلام لا يغفل الجو النفسى الذى يسيطر على كِلا الزوجين .. هذا الجو المشحون بالمشاعر والعواطف والخواطر ، فيحاول ملء هذا الجو بجو آخر يشيع فيه السرور والبِشر ، حتى تبدو الحياة الزوجية فى بداية متفائلة راضية [1] .

* * *

• ومن الآداب المرعية فى هذه المناسبة السارة :

١- الوليمة : ومن سنة الإسلام الوليمة كما فى الحديث : « أَوْلِمْ ولو بشاة » .. وإذا لم تتيسر فأقل شئ يكفى ، فقد أولَمَ رسول الله ﷺ على زوجته صفية بسويق وتمر . ويُتحاشى أن تكون الوليمة على مستوى رفيع من اللحوم والحلوى والفواكه يُحرم منها الفقراء كما فى الحديث : « بئس الطعام طعام الوليمة ، يُدعى لها الأغنياء ويُترك الفقراء » [2] . ومهما يكن فلا أقل من غذاء طيب للزوجين .

٢ - ولا بأس أن يكون هنالك إعلان عن التزواج إذا لم يتم فى يوم عقد القران كما فى حديث الترمذى : « أعلنوا هذا النكاح واجعلوه فى المساجد ، واضربوا عليه بالدف » [3] . والسمر البرئ مقبول وليس مشروطاً ، والغناء مقبول ما لم يكن فاحشاً فى موضوعه أو فى طريقة الأداء .. أو فى طريقة السماع

---

(١) المسئولية فى الإسلام ص ٨٠ - ٨١ .

(٢) قال فى المقاصد : ضعَّفه الترمذى لكنه قد تُوبع ، كما فى ابن ماجه وغيره فأصبح مما يُعمل به .

(٣) قال فى المقاصد : ضعَّفه الترمذى لكنه قد توبع ، كما فى ابن ماجه وغيره فأصبح مما يُعمل به .

كالاختلاط المحرَّم شرعاً . فإذا اختلط الجمعان وفيهم امرأة واحدة متبرجة وجب فض الجمع وقصر الحفل على النساء .

ولا يجوز أن تكون الوليمة وحفل السمر إلا من فائض عن حاجة العروس ، وبما لا يرهقه ويجعله يمد يده للآخرين ، ففى الحديث : « اليد العليا خير من اليد السفلى » .

٣ - ويُستحب أن تكون ليلة الزفاف فى غير أيام حيض الزوجة ، فإن وطئها فى الحيض حرام .

٤ - ويُسن الغُسل والطِيب ، ولبس أفضل الثياب ، والحلق وإزالة ما يُسن إزالته من الشعر وما طال من الأظافر .

٥ - إذا دخل الزوج على عروسه استُحب له أن يُصلى هو واياها ركعتين ، فإذا لم يكونا قد صليا العَشاء صلياها فى جماعة ، ثم يحمدان ربهما ويُصليان على النبى ﷺ وعلى آله وصحبه ، ويدعو العروس وتُؤَمِّن زوجته على دعائه قائلا : « اللّهم ارزقنى إلفَها وودَّها ، ورضاها لى ، وأرضنى بها ، واجمع بيننا بأحسن اجتماع وأيسر ائتلاف ، فإنك تحب الحلال وتكره الحرام » .

وقال بعض الصالحين لبعض أصحابه : اذا دخلت على عروسك فخذ بيدها واستقبل القبلة قائلاً : « اللّهم على كتابك تزوجتها وبأمانتك أخذتها ، فإن قضيت لى منها بولد فأجعله مباركاً تقياً ذكياً ، ولا تجعل للشيطان فيه شريكاً ولا نصيباً » .

٦ - ومن الآداب : استذكار ما يُحب الرجل أن يكون له من زوجته ، وما تُحب المرأة من زوجها ، وحبَّذا لو قرآ معاً ما كان يقرؤه الصالحون من سورة العصر ، فاستوصيا بالحق والصبر ، وحبَّذا لو أوصى الرجل ابنته أو أوصت الأم ابنتها ، أو أوصى الأخ أخته - ليلة زفافها - بالخير .

* * *

وصايا للعروس

• وصية أب لابنته :

نصح أحد الآباء ابنته فقال :

١ - احذرى الكذب على زوجك ، فالكذب يخلق فى نفس الرجل الشك والارتياب ، وهما سُمّ الحياة الزوجية .

٢ - احذرى شدة الانفعالات العصبية فهى تجعل البيت شبه جحيم .

٣ - احذرى الإسراف فى التجمُّل متى كان زوجك غيوراً لأن ذلك يُغضب الغيور ويُثيره ، ويُلقى فى روعة أن زوجه تتجمل لسواه حتى ولو لم تكن فى الواقع كذلك .

٤ - لا تمتدحى أى غريب أمام زوجك ، فالزوج يكره ذلك ، بل ولا يحب أن يسمع تفضيل مخلوق عليه .

٥ - احذرى البِطْنة فإنها تُفسد الجمال وتنحدر بالمرأة إلى مصاف الحيوان .

* * *

• وقال آخر : بنيتى .. اعلمى :

١ - أن هناءك مرتبط إرتباطاً متيناً بهناء زوجك . بحيث لا مهرب لأحدكما من أن يكون سبب سعادة الآخر ، أو علة شقائه ، فاحذرى أول نفور يحدث بينك وبين زوجك ، فلربما يتبعه نفور آخر إلى ما لا نهاية له .

٢ - أطيعى زوجك جهد استطاعتك ، واجتنبى السخرية وأحاديث المجون ، وإياك والمبالغة فى الغيرة فإنها مفتاح الطلاق ، وإياك وكثرة العتب فإنه يورث البغضاء .

٣ - حافظى على صحتك ، وتجنبى ما يشوه نضارتك من الأصباغ المغرية

فإنها تلتحم بالمسام ، فإذا ما سقطت تركت مكانها ثقوباً صغيرة ، تزداد مرة بعد مرة حتى تُفقد الجلد لمعته الطبيعية التى تُشاهد فى الوجوه النضرة الشابة التى لم تلابسها الأصباغ والمساحيق . .

وقد لوحظ أن أصباغ الشفاة تتبلور مع اللُعاب فتفرزها الكُلى سموماً ، بسببها نُشاهد ظاهرة الإجهاض وتشنجات الحمل فى المستعملات للمساحيق أكثر منها فى غيرهن .

٤ - احملى بكل بسالة ما يجب عليك حمله ، واعلمى أن الشئون الخارجية هى من خصائص زوجك ، أما الداخلية فتخصك أنت .

٥ - اعلمى أن كل رجل لطيف يُقَدِّر المرأة التى عندها من الكياسة وحسن الذوق والسياسة ما يجعلها تكتم فى صدرها معظم شكاواها ، ولا تقلقه بأن تكرر على مسمعه - فى كل حديث - المسائل البيتية الصغيرة التى تضايقها .

٦ - نظمى شئونك المنزلية . ولا تُطلعى أحداً على أسرارك .

وفى الحديث : « إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يُفضى إلى امرأته وتُفضى إليه ، ثم ينشر أحدهما سر صاحبه » ،

٧ - لا تَفُضِّى رسائل زوجك بدون إذنه ، ولا تُلحى عليه فى معرفة ما لا يريد إخبارك عنه .

٨ - احفظى لنفسك أسباب اختلافك معه . ولا تجعلى الغير يطلّع عليها .

٩ - إذا زرتك عدة مرات عديدة متوالية - دون أن أراك - فإن ذلك يحزننى ، وإذا وجدتك - وأسعدنى الحظ بأن أراك تهتمين بشئونك كما أتمنى - فإن قلبى يفيض فرحاً وسروراً .. وأثقل شئ على قلب الأم والأب والأخ أن تعود إليهم ابنتهم غضبى .

١٠ - احتفظى بهذه النصائح وطالعيها - على الأقل - مرة كل شهر ، واذهبى بسلام ، وأستودعك الله .

* * *

• وصايا الأم :

أوصت امرأة عوف بن محلّم الشيبانى ابنتها عند زفافها إلى ملك كندة :

أى بنية : إنك قد فارقت بيتك الذى منه خرجت ، وعشك الذى فيه درجت ، إلى وكْرٍ لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه . فكونى له أمَةً يكن لك عبداً. واحفظى له عشر خصال يكن لك ذخراً :

أما الأولى والثانية : فالصحبة بالقناعة . والمعاشرة بحسن السمع والطاعة .

أما الثالثة والرابعة : فالتعهد لموقع عينه ، والتفقد لموضع أنفه : فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح ، والكحل أحسن الحسن ، والماء والصابون أطيب الطيب المفقود .

وأما الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت طعامه . والهدوء عند منامه ، فإن حرارة الجوع مُلهبة ، وتنغيص النوم مُغضبة .

وأما السابعة والثامنة : فالعناية ببيته وماله ، والرعاية لنفسه وحشمه وعياله . وملاك الأمر فى المال حسن التدبير .

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تُفشى له سراً ، ولا تُعصى له أمراً ، فإنك إن أفشيت سره لم تأمنى غدره ، وإن عصيت أمره أوغرت صدره .

ثم اتقى مع ذلك الفرح إن كان تَرِحاً [1] . والاكتئاب عنده إن كان فَرِحاً . فإن الخصلة الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وكونى أشد ما تكونين له إعظاماً ، يكن أشد ما يكون لك إكراماً . وأشد ما تكونين له موافقة ، يكن أطول ما يكون لك مرافقة . واعلمى أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثرى رضاه على رضاك . وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت ، والله يخيّر لك .

* * *

(١) أى حزيناً .

● **وأوصت أم ابنتها فقالت :**

أى بُنية : لا تغفلى عن نظافة بدنك فإن نظافته تضئ وجهك . وتُحبِّب فيك زوجك ، وتُبعد عنك الأمراض والعِلَل ، وتُقَوِّى جسمك على العمل ، فالمرأة التُّفلةُ - أى النتنة - تمجها الطباع ، وتنبو عنها العيون والأسماع ، وإذا قابلت زوجك فقابليه فرحة مسرورة مستبشرة ، فإن المودة جسمٌ روحه بشاشة الوجه .

* * *

● **وأوصت أم ابنتها ليلة زفافها قائلة :**

لا أريد أن أخدعك يا ابنتى : إن حلاوة الزوجية تنتهى بنهاية الشهر الأول الذى لا تزال فيه الحقائق والأوهام غالبة فى تخيلات تلك الصبوة . فإذا تمنيت مزيداً من الحلاوة فى حياتك الزوجية فعليك بالنصائح الآتية :

١ - اجتهدى أن تُنَمِّى فيك السجايا التى حببتك إلى زوجك ، وجعلتك عزيزة فى عينيه يوم كنت آنسة . ولا تظنى أنك - وقد صرت زوجة - يجوز لك أن تُغَيِّرى مظاهرك السابقة . واذكرى دائماً أن وظيفة الزوجة لا تبتدىء وتنتهى فى مخدعها .

٢ - لا تُسَلِّمى لأحد فى دعواه أنه يفهم زوجك أكثر منك ، حتى ولا لأمك التى هى أنا . لا تُصغى للذين ينتقدون زوجك بحجة النُصح له ، فإنهم أعدى أعدائك .

٣ - إذا عرفت خطأ لزوجك أو شعرت بقصور منه فإياكِ أن تؤنبيه أو تعظيه ، لئلا تعتدى على حقّ هو لأبويه أو لأخيه الأكبر .

٤ - تيقنى أنك لا تقدرين على محاربة الرجل بسلاحه - قوته فى لفظه وكفه وعناده - لأنه ثقيل فى يدك النضيرة . وإنك لتتعبين من حمله .. وسيريك الزمان أن أسلحة المرأة الماضية - أى الحادة - هى الجمال والاستسلام والحلم واللطف والسكينة والاتكال ، والخجل والبكاء . ولعلك تظنينها أسلحة ضعيفة . ولكن أؤكد لك إنها إذا شخذتها الحَمْية والأمانة كانت ماضية جداً . كافية لأن تُدمّث الطباع الخشنة ، وتُخَفِّض من غلواء الرجل ، وتحط من كبريائه حتى يجثو أمامك خاضعاً .

٥ - لا تُعَظِّمى المصائب فى بيتك ، ولا تستسلمى للحزن والأسى بعد وقوع النازلة ، يكفى زوجِك جهاده خارج المنزل ، فعليكِ أن تخلقى التعزية والسرور له داخل البيت ، فبُشى له على أى حال . واستقبليه بكل ابتسامة تُنبئ عن متسع الأمل . وتحيى الرجاء فى النفس ، وتُوقظ الحِمَيَّة فى أعماق القلب .

٦ - تحاشَىْ أن تستطلعى أسرار ماضى زوجك [١] . فقد انقضى ، وفى وقوفك عليه ما يُنَغِّص عيشك . ويجعل هناءك شقاء . ولا تنسى أن زوجك إنسان لا ملاك .

٧ - ارفقى بجيب زوجك ، فلا تستنفدى نقوده لاقتناء الحلى والحُلل . وعليك أن تكتفى بما تمس الحاجة إليه من ذلك . أما ما زاد عنه فيعد إسرافا لا مسوغ له ، والكساء البسيط بهندام حسن يدل على سلامة ذوق السيدة ونبلها .

٨ - احترمى عواطف بِعْلِكَ ، وتسلمى مواضع حاجاته ، وبادرى إلى قضائها قبل أن يطالبك بها . حبِّبى إلى نفسك حِرفته . فإذا كان من أهل الأدب مثلاً فرتبى أوراقه ومكتبه . ونظفى أقلامه وأدواته . وإن كان طبيباً فافعلى ما يرضيه من ذلك وتولّى هذا العمل بنفسك ، لأن الخدم لم يُكَلَّفوا حب سيدهم .

٩ - اعتنى باختيار صديقاتِك ، فبالنظر إليهن يحكم العالم على مكانتك ، ولا تُطْلِعى صديقة لك على كل شئ من دخائل منزلك ، مهما بلغت منزلتها عندك ، ولا سيما ما يتعلق منها بعيب أو نكبة .

١٠ - حينما تجلسين إلى المائدة ، اجتهدى أن تكونى فى أوضح مظاهر البهجة والسرور ، لأن الوجه العابس يعوق الهضم ويُفسده ، وفساده داع إلى اعتلال الصحة .

---

(١) أى التى تكرهينها منه ، أى لا تفتشى عن عيوبه .

١١ - كونى للزوجات نموذجاً صالحاً ؛ فأحبى ، وشجعى - وعَزِّى . واحتملى، وسامحى ، واحترمى . ترى نفسك فى السبيل الذى يُفضى بالزوجة إلى السعادة والهناء .

* * *

• وأوصت أمريكية ابنتها فكان فيما قالته :

١ - لا يبرح من ذهنك أنك تزوجت بإنسان لا بكائن فوق البشر ، فلا تأخذك دهشة مما ترينه فيه من النقص والعيب .

٢ - قد يكون زوجك بلا قلب ، ولكن له على كل حال معدة يجب إرضائها بتهيئة ما تشتهينه من الأطعمة .

٣ - اتركى له من آن إلى آخر الكلمة الأخيرة والقول الفصل .. ففى هذا ما يسره ولا يضرك .

٤ - كونى معه على أدب دائماً . وتذكرى أنه هو خطيبك الذى كنت تنظرين إليه كمن هو أرقى الكائنات . وأنه لا مسوغ لتغيير وجهة النظر بعد الزواج .

٥ - دعيه يعتقد - من آن إلى آخر - أنه أكثر منكِ علماً وأغزر معرفة ، فإن فى هذا الاعتقاد ما يَسُرُّه ويُرضى عواطفه - باعتبار كونه رجلاً .

٦ - احترمى آله وخصوصاً والدته التى أحبها قبل أن يحبك [1] .

* * *

• وصية أخ :

وأوصَى أخ أُخته عند زواجها ، وقد فقدت والديها قائلاً : أختى .. كل المهابة والإجلال والخوف والحب الذى يظهر منك لنا .. عليك أن تحوّليه إلى زوجك فله أعظم الإجلال والمهابة والحب والخوف كذلك . واللّه يُسَدِّد خُطاكِ ويُوفِّقكِ .

* * *

(١) سعادة الزوجين : جـ١ ص ٢١ - ٢٣ و ١٤ - ١٧ .

آداب قضاء الوطر

• المداعبة :

من سنن الإسلام مداعبة الزوجة ، والمرح معها وملاعبتها ، فقد كان رسول الله ﷺ يمزح مع نسائه ، وينزل إلى درجات عقولهن فى الأعمال والأخلاق ، حتى روى النسائى وأبو داوود وابن ماجه أنه كان يُسابق عائشة فى العَدو ، فسبقته يوماً ، ثم سبقها فى بعض الأيام فقال : « هذه بتلك » .

وقال عمر بن الخطاب - بالرغم من خشونته المعروفة - : « ينبغى للرجل أن يكون فى أهله مثل الصبى ، فإذا التمسوا ما عنده وُجِدَ رجلاً » .

وفى الصحيحين من حديث جارية بن وهب الخزاعى : « ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل جُواظ عُتلّ مستكبر » ، وفى رواية لأبى داوود : « لا يدخل الجنة الجُواظ ولا الجعظرى » أى الشديد على أهله ، والمتكبر فى نفسه ، وفى حديث النبى ﷺ لجابر : « هلاً بكراً تلاعبها وتلاعبك » .

ولكن التوسط فى المداعبة خير ، كالتوسط فى كل الأمور .

ويُستحب أن يبدأ باسم الله تعالى ، ويقرأ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ أولاً ، ويُكَبِّر ويُهَلِّل . ويقول : باسم الله العلى العظيم ، اللهم اجعلها ذرية طيبة إن كنت قَدَّرْتَ أن تُخرج ذلك من صلبى .

وقال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه الشيخان عن ابن عباس : « لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال : اللهم جَنِّبنى الشيطان وجنِّب الشيطان ما رزقتنا ، فإن كان بينهما ولد لم يضره الشيطان » .

وإذا قربت من الإنزال فقل فى نفسك ولا تحرك شفتيك : الحمد لله ﴿ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً ، وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً ﴾ (١)

---

(١) الفرقان : ٥٤

ثم ينحرف عن القبلة ولا يستقبل القبلة بالوقاع إكراماً للقبلة .

ثم إذا قضى وطره فليتمهل على أهله حتى تقضى أيضاً نهمتها . فإن إنزالها ربما تأخر فيهيج شهوتها ... ثم القعود عنها إيذاءً لها . والاختلاف فى طبع الانزال يُوجب التنافر مهما كان الزوج سابقاً فى الإنزال ، والتوافق فى وقت الانزال ألذُّ عندها ، وليشتغل الرجل بنفسه عنها فإنها ربما تستحى .

وينبغى أن يأتيها فى كل أربع ليال مرة إن كان فيه قوة لذلك ، فهو أعدل ، إذ عدد النساء أربع ، فجاز التأخير إلى هذا الحد ، نعم .. ينبغى أن يزيد أو ينقص بحسب حاجتها فى التحصين . فإن تحصينها واجب عليه ، وإن كان لا يثبت المطالبة بالوطء . فذلك لعسر المطالبة والوفاء بها .

قيل : ويَكره له الجماع فى ثلاث ليال من الشهر العربى : الأولى والأخيرة والنصف . رُوِىَ ذلك عن علىٍّ ومعاوية وأبى هريرة .

وأقول : ليست فتوى الصحابى حجة شرعية ملزمة إذا لم يسندها إلى رسول اللّه ﷺ عند الجمهور .

قال الغزالى : ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة وليلته تحقيقاً لأحد التأويلين من قوله ﷺ « رحم اللّه من غَسَّلَ واغتسل » .

ويكره الجماع فى أول اللّيل حتى لا ينام على غير طهارة . فإن أراد النوم أو الأكل فليتوضأ أولاً وضوء الصلاة ؛ فذلك سنة . روى الشيخان فى صحيحيهما أن عمر سأل رسول اللّه ﷺ : أينام أحدنا وهو جُنُبٌ ؟ قال : « نعم . إذا توضأ » . ولكن قد وردت فيه رُخصة . قالت عائشة رضى اللّه عنها : « كان النبى ﷺ ينام جُنُباً لم يمس ماء » .

ومهما عاد إلى فراشه . فليمسح وجه فراشه ، أو لينفضه ، فإنه لا يدرى ما حدث عليه بعده .

أقول : وما قاله الغزالى يجعل قوله : « يُكره الجماع فى أول الليل » لعله

النوم على غير طهارة ، وهو منقوض بفعل النبى ﷺ وقوله . وبالرغم من أن البيهقى نقل الطعن فى حديث عائشة إلا أنه قال : إنه صحيح من جهة الرواية .

ثم قال الغزالى : « ولا يأتيها فى المحيض ، ولا بعد انقضائه وقبل الغُسْلِ ، فهو مُحَرَّم بنص الكتاب . وقيل : إن ذلك يُورث الجُذام فى الولد » .

والعلم الحديث أثبت أضراراً جسيمة تتعرض لها المرأة والرجل إذا التقى ختاناهما فى الحيض أو النفاس .

كما أن إزالة غشاء البكارة قد يصحبه تسرب بعض الميكروبات إلى الدم ، مما يؤدى إلى إصابة الصمامات التالفة بالالتهاب الخبيث [1] . وما جرى عليه العوام من إزالتها بالأصبع بوحشية عمل غير اسلامى .

ثم قال الغزالى : « وله أن يستمتع بجميع بدن الحائض ، ولا يأتيها فى الدُّبر فهو أشد تحريماً من إتيان الحائض » وقوله تعالى :﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ [2] يعنى : أى وقت شئتم . وله أن يستمنى بيدها [3] . وأن يستمتع بما تحت الإزار بما يشتهى سوى الوقاع (أى الجماع) . وينبغى أن تَتَّزر المرأة بإزار من حقْوِها (أى الخِصر) إلى ما فوق الركبة ، أو ترتدى سراويل (بنطلون) فى حالة الحيض ، فهذا من الأدب . وله أن يؤاكل الحائض ويخالطها فى المضاجعة وغيرها . وليس عليه اجتنابها .

أقول : ويأثم من أتى امرأة فى فتحة الشرج ، وتأثم هى كذلك إن رضيت

---

(١) المارس العام مجلد ٢ عدد ٣ تصدرها نقابة الأطباء والجمعية الطبية المصرية .

(٢) البقرة : ٢٢٣ .

(٣) وأرى أن فى وسائل إفراغ الشهوة الكثيرة كالمفاخذة ما هو أقرب للفطرة من الاستمناء باليد .

بذلك ، ولكنها لا تُطلّق ، كما هومفهوم العوام ، ولم يخرج بعمله من الاسلام ما لم يستحل ذلك بعد علمه بالتحريم ، بل هو مذنب وعليه أن يستغفر الله ، وفعله شذوذ فى العلاقة الجنسية وعقوق لحق الأنثى .

ثم قال الغزالى : « وإن أراد أن يُجامع ثانياً بعد أخرى . فليغسل فرجه أولاً ، تنشيطاً لنفسه ، وان احتلم فلا يُجامع حتى يغسل فَرجه أو يبول .

ومن الآداب ألا يعزل . بل لا يسرح إلا إلى محل الحرث ، وهو الرحم ، فما من نسمة قدَّر الله كونها إلا وهى كائنة - كما قال رسول الله ﷺ - فإن عزل نفسه عند الإنزال فقد ضيَّع على نفسه ثواب الولد يُربيه ليُجاهد فى سبيل الله » [1] .

ومن الآداب ألا يتحدث أحد الزوجين جهاراً بما فعلاه سراً : أخرج مسلم وأبو داوود وغيرهما من حديث أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يُفضى إلى امرأته وتُفضى إليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه » .

وروى أحمد عن أسماء بنت يزيد أنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قعود عنده فقال : « لعل رجلا يقول ما فعل بأهله . ولعل امرأة تُخبر بما فعلت مع زوجها » فأرِمَ القوم (أى سكتوا) فقلت : أى والله يا رسول الله .. إنهم ليفعلون ، وإنهن ليفعلن ، قال : « فلا تفعلوا ، فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقى شيطانة فغشيها والناس ينظرون » .

* * *

أمثلة من ليالى الزفاف

• فى بيت عبد الله بن وداعة :

كان عبد الله بن وداعة ممن يتلقون العلم عن الإمام سعيد بن المسيَّب ، وحدث أن تأخر عن الدرس أياماً فسأله الإمام عن سبب تخلفه ، فقال : توفيت زوجتى

(١) الإحياء : كتاب آداب النكاح جـ ٤ ص ١٤٩ - نشر : الثقافة الاسلامية .

فشُغِلتُ بأمرها ، فلما انتهى الدرس وهَمَّ عبد الله بالانصراف ناداه الإمام سعيد:

- هل تزوجت يا عبد الله بعد وفاة زوجتك ؟

عبد الله : يرحمك الله تعالى ، ومن يُزَوِّجنى وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟

سعيد : أنا أُزَوِّجك ... زوجتك ابنتى - فلانة - التى رفضتُ تزويجها الأمير الأموى « الوليد بن عبد الملك بن مروان » على صداق قدره كذا ، تدفعه إن رُزِقْتَ ذلك بمشهد إخوانك هؤلاء . فهل قبلت ؟

عبد الله : نعم قبلت زواجها .

وانصرف عبد الله إلى منزله يتناول طعام الإفطار خبزاً وزيتاً حيث كان صائماً ، وإذا بالباب يُقرع . فنهض عبد الله يفتح للطارق ، فإذا هو أستاذه سعيد بن المسيب .

عبد الله : يا أبا محمد . لو أرسلت إلىَّ لأتيتُك ؟

سعيد : بل أنت أحق أن أسعى إليك . إنك كنت رجلاً عزباً فتزوجت ، ها هى ذى امرأتك .

فأخذ سعيد بيدها إلى داخل بيته .. وجلس الثلاثة فى فرح يتجاذبون أطراف الحديث بعض الوقت ، ثم انصرف سعيد . ودخل عبد الله على زوجته فإذا هى أجمل الناس وأحفظهم لكتاب الله ، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ وبحقوق الزوجية . وما إن أسفر الصبح حتى نهض عبد الله يريد أن يخرج . فقالت زوجته : إلى أين ؟

عبد الله : إلى مجلس أبيك .. أتعلم العلم !

فقالت : اجلس أُعَلِّمُك علم سعيد .

فمكث « عبد الله » على هذا شهراً لا يحضر حلقة العلم . ثم حضرها .

وسأله سعيد : ما حال هذا الانسان ؟ - يريد الزوجة .

عبد الله : بخير يا أبا محمد ، على ما يُحب الصديق ويكره العدو .

سعيد : إن رأيت منه أمراً فأدبه .

ثم انصرف كُلٌّ إلى منزله . وما كاد يستقر عبد الله فى داره حتى جاءه إنسان من قِبَلِ والد الزوجة ، يحمل هبة مالية ليستعين بها على معيشته مع زوجه .

وهكذا دون إرهاق وعنت دخل ابن وداعة على زوجته : ابنة سعيد بن المسيَّب عالم عصره الذى لم يخش أن يقول لعبد الملك بن مروان حين خطب اليه ابنته : تحية لأمير المؤمنين . ولكن ابنتي سيكون لها رجل آخر » .

* * *

• فى بيت شريح القاضى الفقيه :

تزوَّج شريح بزينب ابنة جرير إحدى نساء بنى حنظلة وحدَّث شريح عن نفسه قائلا :

« فلو رأيتنى - يا شعبى - وقد أقبل نساؤهم يهدينها حتى أُدخلت علىَّ ؟ فقلت إنَّ من السُّنة إذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم فيصلى ركعتين ، فيسأل الله من خيرها . ويعوذ به من شرها قائلا : « اللّهم إنى أسالك خيرها وخير ما جبلتها (أى طبعتها) عليه . وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه » ، فصليت وسلمت . فإذا هى من خلفى تُصَلّى بصلاتى . فلما خلا البيت ودنوت منها ، ومددت يدى إلى ناحيتها قالت : على رِسلك يا أبا أمية ، كما أنت . ثم قالت : « الحمد لله . أحمده وأستعينه ، وأصلى على محمد وآله ، إنى امرأة غريبة . لا علم لي بأخلاقك ، فبيِّن لى ما تُحب فآتيه ، وما تكره فأبتعد عنه . وقالت : إنه قد كان لك فى قومك منكح [1] ، وفى قومى مثل ذلك . ولكن إذا قضى الله أمراً كان . وقد ملكتَ فاصنع ما أمرك الله به : إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولك » .

---

(١) مجال للزواج .

وقال شريح : فأحوجتنى والله - يا شعبى - إلى الخطبة فى ذلك الموضع فقلت :

« الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأصلى وأسلم على النبى وآله ، وبعد .. فقد قلت كلاماً إن تثبتى عليه يكن ذلك حظك ، وإن تدَعيه يكن حجة عليك .. أحب كذا ، وأكره كذا . ونحن سواء فلا تفرقى .

وما رأيت من حسنة فانشريها . أو سيئة فاستريها .

قالت : وكيف محبتك لزيارة الأهل ؟

شريح : ما أحب أن يملّنى أصهارى .

قالت : فمن تحب من جيرانك أن يدخل بيتك آذن له ، ومن تكرهه أكرهه ؟

شريح : بنو فلان قوم صالحون ، وبنوفلان قوم سوء .

قال شريح : فبتُّ - يا شعبى - بأنعم ليلة . ومكثت معى حولا لا أرى إلاّ ما أحب ، فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء ، فإذا بعجوز تأمر وتنهى فى البيت . قلت : من هذه ؟

قالوا : فلانة خِتنك [1] . فسُرّى عنى ما كنت أجد .

فلما جلست أقبلت العجوز وقالت : السلام عليك يا أبا أمية .

قلت : وعليكِ السلام . من أنت ؟

قالت : أنا فلانة خِتنك .

قلت : قرّبك الله .

قالت : كيف رأيت زوجتك ؟

قلت : خير زوجة .

فقالت : يا أبا أمية : إن المرأة لا تكون أسوأ حالاً منها فى حالتين : إذا

---

(١) أى : حماتك .

ولدت غلاماً أو حظيت عند زوجها . فإن رابك ريب فعليك بالسوط ، فو الله ما حاز الرجال فى بيوتهم شراً من المرأة المدلّة .

قلت : أما والله لقد أدبتِ فأحسنتِ الأدب ، ورُوِضْتِ فأحسنتِ الرياضة .

قالت : تحب أن يزورك أختانك ؟ (١) .

قلت : متى شاءوا ..

قال شريح : فكانت تأتينى فى رأس كل حول تُوصينى تلك الوصية ، فمكثت معى عشرين سنة ، لم أعتب عليها فى شئ إلا مرة واحدة كنت لها ظالما .

* * *

• ما ينبغى تجنبه :

ولا يجوز أن تكون العروس فى زينتها يبدو منها ما لا يحل للآخرين ، فيراها الآخرون .. وكأن الله قد أسقط تشريعاته فى حدود العورة للأجانب هذه الليلة .

كما لا يجوز أن تُقام الولائم للأغنياء ولا يُشارك فيها الفقراء ، وتكره الاستدانة من أجل المظاهر الكاذبة .

والمشاركة من الأهل والأصدقاء فى الوليمة والمهر عمل مشروع إذا رضيه الزوج، وإلا فإن مَنْ فى طبعه الاستعلاء على الهدايا يعتبر ذلك قاصمة الظهر، ومذلة العمر. فعلى صحبه أن يترفعوا عن ذلك ولا يحرجوه ، و الا فالأصل التضامن .

وروى أحمد - بإسناد حسن - حديث ربيعة الأسلمى قائلا : كان ربيعة الأسلمى قد انقطع إلى رسول الله ﷺ يخدمه ويبيت عنده لحاجة طرقته ، فقال له رسول الله ﷺ : ألا تتزوج ؟ فقال : يارسول الله ، إنى فقير لاشىء لى وأنقطع عن

---

(١) الأختان : أقارب الزوجة .

خدمتك . فسكت ثم عاد ثانياً . فأعاد الجواب . ثم تفكّر الصحابى وقال : والله لرَسول الله ﷺ أعلم بما يصلحنى فى دنياى وآخرتى وما يُقَرّبنى إلى الله منى . ولئن قال لى الثالثة لأفعلن . فقال له الثالثة : آلا تتزوج ؟ قال : فقلت : يارسول الله ، زوجنى . فقال : اذهب إلى بنى فلان فقل : إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تزوجونى فتاتكم . فقال : فقلت : يارسول الله : لاشىء لى . فقال لأصحابه : اجمعوا لأخيكم وزن نواة من ذهب . فجمعوا له . فذهبوا به إلى القوم فأنكحوه فقال له : أولِمْ ، وجمعوا له من الأصحاب شاة للوليمة . (نواة الذهب عملة زنتها خمسة دراهم).

كما يُكره أن يُقَدِّم الزوج لزوجته عند الوقاع نقوداً أو حلياً (حلواناً) لإزالة البكارة أو لمضاجعتها أول مرة ، كما هى عادة بعض السفلة-تى لا يشبه ذلك الزنا .

فليأخذ الزوج عروسه بالمداعبة حتى يسلس له قيادها ويضاجعها برفق متلطفاً بها ، ويظن غير المجربين أن الموضع مسدود بغشاء البكارة وأنه لا يمكن أن يُزيله بالطريق الطبيعى الذى يتم به اللقاح فى كل ما خلق الله . والواقع أنه يولج دون أن يعلم أن فتحة المكان تميل الى أسفل البطن وهى غير فتحة البول الضيقة . وعليه أن يلاحظ ذلك ، فعندئذ لايجد إنسداداً وما دخل الرفق فى شىء إلا زانه ، ولا خلا من شىء إلا شانه ، وممارسة الجنس لأول مرة تجربة كأى تجربة يلعب فيها الحظ دوره ، فقد يُوَفّق الرجل فى التجربة ويعرف السبيل المفضي إلى تحقيق غرضه من أول محاولة ، وقد تتكرر المحاولات أسبوعاً أو أكثر - ولكنه سيصل إلى غرضه ، لأن هذه التجربة ييسرها أنها استجابة للفطرة.. ومطلب يتضافر على تحقيقه الطرفان فى رغبة صادقة

ولا أصل لرهبة الموقف التى تعترى كُلاً من العروسين فهى رهبة ليس لها أصل إلا الأوهام .. التى سرعان ما تتبدد عندما يخلو العروسان إلى أنفسهما ويسكن ضجيج الأقارب والأصدقاء بعودة كُلٍّ إلى بيته

ولا داعى للقلق بأى حال .. وما دام هناك تلطف ورفق ومداعبة للزوجة حتى ترضى ، فإن الأمر يكون هيناً لا يصحبه الضجيج والصراخ الذى لا ينشأ إلا عن الاستكراه.

ومع تكرار الممارسه يتم زوال غشاء البكارة شيئاً بعد شيء دون آلام .. وفى أمن من أخطار النزيف الذى ينشأ عن إزالتها بغير أسلوب الفطرة .

وما عليه العامة من فض البكارة بالأصبع ، ثم إعلان دم البكارة على ثوب أبيض يُعلق أو يُنشر على الناس.. ليس من الإسلام . ويجافى تقاليده الكريمة .

وإنما تُعد « منشفة » أو أى خرقة لتنظيف المكان من الإفرازات المنوية ، تُوارَى عن الأعين ، وتُغسل وتُحفظ فى سِتر ، سواء فى ليلة الزفاف أو فى اللّيالى الأخرى .

* * *